

مفاهيم القرآن

(256) وَ أَشْفَقْنَ مِنْهُهَا وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ . (1) غير أن طائفة من المفسرين فسّروا هذه الآية ونظائرها بالمعاني المجازية ، وبأن كل هذا الذي يخبر عنه القرآن تم بلسان الحال ، بمعنى أنّها أبين وأشفق عن تحمل الأمانة المعروضة عليها ، بلسان حالها ، لا بلسان مقالها الكاشف عن الشعور في حين أن هذا التفسير والحمل ضرب من اتخاذ المواقف قبل البحث والدرس وهو أمر لا مبرر له ، إذ لا دليل على حمل مثل هذه الآيات على غير ظاهرها ، وتأويل هذه الحقيقة – التي يتحدث عنها القرآن بصراحة – بمعان مجازية ، ومحامل لم يقم عليها دليل. على أن عدم توصل العلم إلى هذه الحقيقة ، أعني: وجود الشعور عند عامّة الموجودات لا يكون دليلاً – أبداً – على عدم وجود هذا الشعور عند هذه الكائنات ، لأنّ وظيفة العلم إنّما هي الإثبات فقط ، وليس للعلم حق "النفي" والسلب ، والإنكار . إنّ العلم لم يبلغ تلك المرحلة من المعرفة ، والإحاطة بحقائق الكون ، إحاطة يمكنه معها أن ينكر ما لا يعرف وجوده أو عدمه (2). وفي موضع آخر يقول القرآن في هذا الصدد : _____ 1 . الأحزاب: 72 . 2 . وهذه إحدى الفروق بين العلم والفلسفة فإنّ للثانية حق النفي والإثبات وليس للأوّل ذلك الحق ، لأنّ الوسائل التي يتوصل بها العلم للتحقيق أقصر من أن يتوصل بها إلى الإحاطة بجميع الموجودات ، وهذا بخلاف الفلسفة فإنّها تجعل صفحة الوجود مسرحاً لنقاشها ونفيها ، وإثباتها وللبحث عن الفرق الكامل بين العلم والفلسفة موضع آخر .